البعثة النبوية

ولادة الرسول

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أشرف الناس نسباً وأعظمهم مكانةً وفضلاً، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وقد تزوّج والد النبي عبد الله من آمنة بنت وهب، ولد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في مكّة المكرمة، في السابع عشر من ربيع الاول، وقيل الثاني عشر، سنة ٥٧١م وهي السنة المعروفة بعام الفيل، مات ابوه وأمه حامل به لشهرين فحسب، وقيل عمره عامين، فكفله جده عبد المطلب.

رضاعته

جرت عادة الاشراف من قريش ارسال ابناءهم الى البادية، فارتأى عبد المطلب جدّ النّبي عليه الصّلاة والسّلام أن يتّخذ له مرضعةً من البادية ويرسله معها، فكان نصيب حليمة السّعديّة أن تنال شرف إرضاع النّبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فظلّ عندها في البداية في ديار بني سعد ما يقارب من خمسة أعوام، وقيل اقل من ذلك، فنشأ في جو بدوي يتكلم لغتهم الفصيحة، وانغرست في قلبه الرأفة والرحمة ولين الجانب وغيرها من الصفات الحميدة.

كفالته

كفلَ النبيَّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعد أبيه جدُّهُ عبد المطلب، وقام بتربيته وحفظه أحسن قيام، ورقّ عليه رقّة لم يرقّها على ولده، وكان يقرّبه منه ويدنيه، ولا يأكل طعاماً إلا أحضره، وكان يدخل عليه إذا خلا وإذا نام، ويجلس على فراشه فيقول دعوه.

ولما صار عمره ستّ سنين، وذلك بعد مجيئه من عند حليمة بسنة، أخرجته أمه إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه، فبقيت عندهم شهراً، ثم رجعت به

أمـه إلـى مكّـة، فتوفيـت بـالأبواء بـين المدينـة ومكّـة، فعـادت بـه أم أيمـن إلـى مكّـة إلـى جدّه عبد المطلب، وبقيت تحضنه، فبقي في كفالة عبد المطلب من حين وفاة أبيه ثمان سنين .

وتوفي عبد المطلب وقد أوصى ولده أبا طالب بحفظ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وحياطته وكفالته، ولم يكن أبو طالب أكبر إخوته سناً، ولا أكثرهم مالاً، لكن عبد المطلب اختاره لما توسّم فيه من الرّعاية الكافية لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ولأنه كان على فقره أنبل إخوته وأكرمهم وأعظمهم مكانةً في قريش وأجلهم قدراً، فكفله أبو طالب وقام برعايته أحسن قيام، وكان يحبّه حبّاً شديداً، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وكان يخصه بالطعام.

ولما بلغ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) اثنا عشر سنة، خرج به معه إلى الشام بعدما عزم على إبقائه بمكّة، لكنه أبى إلا أن يصحبه، فأخذه معه حتى بلغ به بصرى، ولم يزل أبو طالب يكرمه ويحميه وينصره بيده ولسانه طول حياته .

نقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، أن أبا طالب كان كثيراً ما يخاف على رسول الله (ص) البيات، فكان يقيمه ليلاً من منامه، ويضجع ابنه عليّاً مكانه.

فترة شبابه

أمضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شطراً من حياته قبل البعثة، في رعي الغنم في الصحارى، ساعده في التخلّص بعض الشيء من آلامه الروحية الناشئة من رؤية الأَوضاع المزرية والأَحوال المشينة التي كان عليها أهل مكة وما كانوا فيه من عادات سيئة وظلم وانحراف وطغيان، كما أنّ عمله في تلك البقاع، أعطاه فرصة طيبة للنظر في خلق السموات والتطلع الآيات الدالة على وجود اللّه سبحانه و تعالى، وقدرته و حكمته وعلمه وإرادته.

وبعد هذا العمل الصحراويّ الجبلي، تعاطى (صلى الله عليه وآله وسلم) العمل التجاري، باقتراح من عمّه أبي طالب، الذي أرشده بالتوجه للعمل في تجارة السيدة «خديجة بنت خويلد» التي كانت تعمل بالتجارة الواسعة، فأصبحت غنيةً ذات مال كثير وذات شرف عظيم، استخدمت

الرجال في إدارة أعمالها الكثيرة، فقال أبو طالب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : «يابن أخي، هذه خديجة بنت خويلد قد انتفع بمالها أكثر الناس، وهي تبحث عن رجل أمين، فلو جئتها فعرضتَ نفسك عليها لأَسرعتْ إليك، وفضّلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك».

إلاّ أنّ إباء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلوّ طبعه منعاه من الإِقدام بنفسه على ذلك فردَّ عليه :«فلعلّها أن ترسل إليّ في ذلك»، وقد حدث ماأراده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد بعثت إليه قائلةً: «إنّي دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك، وأبعث معك غلامين يأتمران بأمرك في السفر»، ولمّا علم عمّه أبو طالب بذلك قال له: «إنّ هذا رزق ساقه اللّه إليك».

وهكذا تمّ الاتفاق على أن يقوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالعمل في أموالها وتجارتها على نحو المضاربة لا الإِجارة، فقد ذكر «اليعقوبي»: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان أجيراً لأَحد قط.

ولذا فإنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حصل على أرباح وفيرَة من أوّل تجارته إلى الشام، وعند عوتهم إلى مكّة، استقبلتهم خديجة بحفاوة كبيرة، وقد سرّت بحديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخباره عن رحلته ومكاسبه التجارية.

زواجه

ادى اشتغال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتجارة، وما عرف عنه من الصدق والامانة اللتين كانتا شعارا له منذ نعومة أضفاره، الى معرفته بالسيدة خديجة بنت خويلد، وكانت من خيرة نساء قريش شرفاً وأقواهن عقلاً وأكثرهن فهماً، وقد قيل لها: سيدة قريش، وسمّيت الطاهرة لشدة عفافها، وذلك في أيّام الجاهلية.

ويوَكد المؤرخون أنّها هي التي اقترحت على النبي الزواج، الذي تقبّل عرضها، وقالت له: يا ابن عم اني قد رغبتك فيك، لقرابتك وسلطتك في قومك، وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، وقد

دفع صداقها عمه ابو طالب، وقد اعقب الرسول منها ستة ابناء منهم فاطمة التي تزوجت فيما بعد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.

وقد ذكرها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحاديثه الكثيرة، وأشاد بفضلها ومكانتها وشرفها.

ومن أشهر الاَحاديث التي نُقلت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال عنها: «أتاني جبرائيل (عليه السلام) فقال يا رسول اللّه، إذا أتتك خديجة فاقرأ عليها السلام من ربها ومنّي، وبشّرها ببيت في الجنّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب».

كما قال عنها الإمام علي (عليه السلام) : «كنتُ أوّل من أسلم، فمكثنا بذلك ثلاث حِجَج وما على الاَرض خلق يصلّي ويشهد لرسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» بما أتاه، غيري، وغير ابنة خويلد رحمها اللّه».

حياته الروحية ونزول الوحي عليه

كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على خلق عظيم، وقد اشتهر بين قومه بالمروءة والوفاء بالعهد وحسن الجوار والحلم والعفة والتواضع والجود والشجاعة والصدق والامانة حتى سموه الامين، فقد دلت الشواهد التاريخية بالإضافة إلى البراهين العقلية، على أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان موَمناً باللّه وموحّداً إيّاه قبل البعثة، فلم يعبد وثناً قط، ولم يسجد لصنم أبداً، وقد أجمع المؤرخون على أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يخلو بغار حراء أشهراً كلّ عام يعبد اللّه تعالى فيه، فقد ذكر الإمام علي (عليه السلام) قوله: «ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري».

والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان موَمناً موحّداً عابداً للّه ساجداً قائماً بالفرائض العقلية والشرعية، مجتنباً عن المحرمات، عالماً بالكتاب وموَمناً به إجمالاً، وراجياً لنزوله إليه، إلى أن بعثه اللّه لإنقاذ البشرية عن الجهل وسوقها إلى الكمال.

الوحي في غار حراء

كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يذهب الى غار حراء يتامل عجائب الكون، ويفكر في البعث والحساب والجنة والنار، ويقع جبل حراء في شمال مكّة، ويتكوّن من قطع صخرية لا أثر للحياة فيها، أمّا الغار فيقع في شمال الجبل، ولم يزل كذلك حتى نزل عليه الوحي، فقد أمر اللّه تعالى جبرائيل (عليه السلام) بأن ينزل على أمين قريش في الغار ويتلو على مسامعه بضع الآيات معلناً بذلك تتويجه بالنبوة ونصبه لمقام الرسالة، وطلب منه أن يقرأ، أو قال: يا محمّد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال يا محمّد(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الّذي خَلَقَ* خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَق*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الاَكْرَم* الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَم* عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَم).

وقد اضطرب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لهذا الحدث، لعظمة المسؤولية التي أُلقيت على كاهله، فترك غار حراء متوجّهاً إلى بيت السيدة خديجة(عليها السلام)، التي لاحظت الاضطراب والتعب على ملامحه فسألت عنه، فأجابها وحدّثها بكلّ ما سمع وجرى، فعظمت خديجة(عليها السلام) أمره ودعت له وقالت: «أبشر، فواللّه لا يخزيك اللّه أبداً»، ثمّ دثرته فنام بعض الشيء، ثمّ انطلقت إلى بيت ورقة تخبره بما سمعته من زوجها الكريم، فأجابها: إنّ ابن عمّك لصادق وإنّ هذا لبدء النبوة، وإنّه ليأتيه الناموس الاَكبر، أي الرسالة والنبوة.

أمّا بالنسبة إلى يوم مبعثه، فإنّ هناك اختلافاً فيه مثلما اختلف في يوم ولادته، فاتّفق علماء الشيعة على أنّه بُعث بالرسالة يوم ٢٧ من شهر رجب، وأنّ نزول الوحي بدأ من هذا اليوم، بينما اشتهر عند السنّة أنّه حدث في شهر رمضان، فهناك فرق في نزول القرآن جميعه على الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» ونزول الآيات الاَولى عليه يوم المبعث، فالآيات التي تصرح بنزول القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر المباركة، لا تدل على أنّ يوم المبعث، الذي نزلت فيه بضع آيات، كان ذلك في الشهر نفسه، لاَنّ الآيات المذكورة الدالّة على أنّ القرآن نزل في شهر رمضان تدل على أنّ مجموع القرآن لا بعضه قد نزل في ذلك الشهر، في حين أنّه لم ينزل في يوم المبعث سوى آيات معدودة.